الدفاع عن السنة في ظل التيارات الفكرية المعاصرة

د. طارق عطية الدقيج

الجامعة الاسمرية

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه واستنار بسنته إلى يوم الدين أما بعد:

لقد من الله سبحانه وتعالى على هذه الأمة المحمدية بأن بعث فيهم رسولاً من أنفسهم يتلو عليهم آيات ربهم، ويعلمهم الكتاب والحكمة، ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه، ويهديهم إلى صراط مستقيم، قال تعالى: ﴿ لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلالا مبين ﴾، (سورة آل عمران، الآية: 164). فكانت حكمة الله تعالى في بعثت النبي محمد ﷺ متمثلة في بيان هذا الدين الحنيف وتعاليمه للناس كافة، ودعوتهم إلى التمسك بكتاب ربهم، وسنة نبيهم عليه السلام، وإرشادهم إلى سبيل الخير والهدى، وتحذيرهم من سبل الشر والضلال.

وقد أمر الله تعالى نبيه المصطفى بتبليغ رسالته إلى الناس، فقال تعالى: يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك ﴾، (سورة المائدة، الآية: 67). وأمرنا في آيات أخر أن طاعة الرسول ﷺ من طاعة الله تعالى، فقال سبحانه: ﴿ من يطع الرسول فقد أطاع الله ﴾، (سورة النساء، الآية: 80). وقد امتثل الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين لهذا النداء الإلهي، واهتدوا بهدي سيد المرسلين، واستمسكوا بكتاب الله الكريم، وتتبعوا سنة نبيه الأمين، وعضوا عليها بالنواجذ، واتخذوها منهجا في حياتهم العلمية والعملية، وانتهج هذا السلوك أيضا أتباع الصحابة رضي الله عنهم.

فقد اهتم علماء الحديث وحفّاظه وأئمته بتعاليم السنة النبوية، وتدوينها، وتعليمها، والدفاع عنها من قبل المشككين فيها، والمدّعين عدم حجيتها، وصنفوا العديد من المصنفات والكتب الخاصة في هذا المجال، وبذلوا قصر جهدهم في سبيل الحفاظ عليها ودفع جميع الشبهات الواردة فيها، وعرضوها على صورتها الحقيقية.

ولكن هذا الزمن ظهرت من خلال بعض الكتابات الحديثة بعضا من الاتجاهات الفكرية في دراسة علوم السنة النبوية، واختلفت صور عرضها على ما كان عليه في السابق، فكان موضوع هذا البحث يتناول دراسة بعض الاتجاهات دراسة وصفية تحليلية، ومن هنا تكمل مشكلة البحث وهي كيفية الدفاع والرد على أعداء السنة سواء كانوا مسلمين أو غيرهم لكثرة المنكرين والطاعنين والمشككين فيها في هذا العصر الذي يتربص فيه أعداء الإسلام بالطعن في أهم مصادر التشريع وهي السنة النبوية المطهرة.

أسباب اختيار الموضوع :

1. الحرص على بذل الجهد والاهتمام بدراسة المواضيع المتعلقة بالسنة النبوية والحث على الاعتصام بها.
2. إن هذا الموضوع يغلب عليه طابع الحداثة والواقع المعاش ويربط بين الدراسات السابقة بالدراسات المعاصرة.
3. إن هذا البحث يثير قضية مهمة وأساسية من قضايا السنة النبوية تتمثل في التيارات الفكرية المعاصرة ومناهجها الدراسية للسنة النبوية.

منهج البحث:

لقد سرت في دراستي لهذا البحث وفق المنهج الاستقرائي الوصفي التحليلي، وذلك بتتبع أقوال أهل العلم المتخصصين، وسرد آرائهم، وعرض الاتجاهات الفكرية المعاصرة حول السنة النبوية، وذلك من خلال استنباطها من الكتب والمؤلفات المتعلقة بموضوع بحثي، وإسناد هذه الآراء والأقوال إلى أصحابها، كما حرصت على التنوع في النقل، والنظر إلى اختلاف الأعصار والأمصار، كما قمت بشرح بعض المفردات الغريبة الواردة في كلام بعض أهل العلم حتى يسهل معرفتها دون لبس أو إشكال.

أهداف البحث:

تسعى هذه الدراسة إلى الوصول إلى بعض الأهداف المرجوة والتي من بينها:

1. التعرف على بعض الاتجاهات الفكرية المعاصرة في دراسة السنة النبوية.
2. تفنيد أقوال وآراء بعض الاتجاهات الفكرية المخالفة في دراسة السنة النبوية.
3. الدفاع عن السنة ومعرفة الاتجاه الصحيح، والدعوة إلى التمسك به.

خطة البحث

- **المقدمة.**
- **أسباب اختيار البحث.**
- **منهجية البحث.**
- **أهداف البحث.**
- **المبحث الأول: الاتجاه السلفي.**

المطلب الأول: تعريفه.
المطلب الثاني: الأسس التي يقوم عليها.
المطلب الثالث: أبرز علماء هذا الاتجاه.
المطلب الرابع: المتأثرون بالاتجاه السلفي.

- **المبحث الثاني: الاتجاه العقلي.**

المطلب الأول: تعريفه
المطلب الثاني: الأسس التي يقوم عليها .
المطلب الثالث: أبرز علماء هذا الاتجاه.
المطلب الرابع: المتأثرون بالاتجاه العقلي.

- **المبحث الثالث: الاتجاه المنحرف.**

المطلب الأول: تعريفه.
المطلب الثاني: أسس الاتجاه المنحرف بالنسبة للسنة النبوية.
المطلب الثالث: الشبهات والأباطيل الواردة في هذا الاتجاه حول السنة النبوية.

- **الخاتمة وأهم النتائج.**
- **فهرس المصادر والمراجع.**

المبحث الأول
الاتجاه السلفي

المطلب الأول: تعريفه

السلف لغة: الجماعة المتقدمون، وسلف الرجل: آباؤه المتقدمون، أو كل من تقدمك من آبائك وذوي قرابتك الذين هم فوقك في السن والفضل، وقيل سلف الإنسان من تقدمه بالموت من ذوي آبائه وقرابته، ولهذا سمي الصدر الأول من التابعين بالسلف الصالح، وقد يكون هناك معنى آخر لمفهوم السلف وهو كل شيء يقدمه العبد من عمل صالح أو ولد فرط يقدمه.(لسان العرب، ابن منظور،ج1، مادة سلف، ص120).

أما تعريفه في الاصطلاح: فإن لفظ السلف وردت في مواضع عدة من القرآن الكريم ويقصد بها فترة سبقت زمن الحاضر.(تيارات الفكر الإسلامي، د: محمد عماره، ص 28). فمن الآيات الواردة قول الله تعالى: ﴿ فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف ﴾، (سورة البقرة، الآية: 275). وقوله: ﴿ ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء إلا ما قد سلف ﴾، (سورة النساء، الآية: 22). وقوله ﷺ لابنته فاطمة وهو في مرض الموت: (فإنه نعم السلف أنا لك). (رواه البخاري، صحيح البخاري، ج1، ص132، ، باب الاستلقاء، حديث رقم: 8).

والسلفية المعاصرة هي اتجاه أصولي منهجي يقوم على قاعدة منهجية بالعودة بأصول الفهم إلى الكتاب والسنة الصحيحة، وقواعد الفهم المعتبرة لدى الصحابة والتابعين وتابعيهم، وهي تقدم مفهوما أساسيا في العقيدة ومقومات الحياة، وفرعيات النظم، وهي دعوة متجددة معاصرة، مع أصالتها في المصادر والأهداف. (الاتجاه السلفي الحديث بين التأصيل والمواجهة، د: راجع الكردي، ص 228-231).

المطلب الثاني: الأسس التي يقوم عليها

من أهم الأسس التي يقوم عليها هذا الاتجاه ما يأتي.

1. تعظيمهم للأدلة النقلية من الكتاب والسنة والإجماع، فالاعتماد التام والأساسي يكون على هذه المصادر في شتى مجالات الدين وفروعه وأقسامه من العقيدة والفقه وغيره.
2. الاهتمام الكبير بالسنة النبوية سواء كان ذلك من الناحية الدراسية أوالتأليف، وتقديم قول الرسول ﷺ عن قول غيره.
3. احترامهم قدر الصحابة والتابعين وسلف الأمة، والتنويه بفضلهم ومناقبهم وعظيم منزلتهم، والحرص على الانتساب إليهم.
4. استحالة وجود تعارض حقيقي بين النقل والعقل.
5. الاهتمام بالأمور المتعلقة بالتوحيد والعقيدة، وتقسيمهم التوحيد إلى ثلاثة أقسام هي: توحيد الألوهية، وتوحيد الربوبية، وتوحيد الأسماء والصفات، وجعل هذه الأمور هي أساس الدعوة إلى دين الله تعالى.
6. نقدهم الشديد لعلماء الكلام، وذلك باهتمامهم بتوحيد الربوبية، وترك الاهتمام بتوحيد الألوهية.
7. اهتمامهم بمسألة الأسماء والصفات في حق الله تعالى، وكثرة التأليف حولها وإثبات كل ما أثبته الله تعالى لنفسه وما أثبته رسوله ﷺ من غير تكييف ولا تعطيل ولا تشبيه ولا تمثيل ولا تأويل.
8. رفضهم لبعض المسائل المتعلقة بالعقيدة كالتوسل والموالد وبناء القبور على المساجد وغيرها.

9. حرصهم الشديد على اتباع الكتاب والسنة في الاستدلال على الأحكام الشرعية، دون التقييد بالمذهب، وذلك باتباع ما صح من الدليل.
10. التحذير من البدع والأحاديث الضعيفة والموضوعة التي غيرت وبدلت في دين الله تعالى. (مناهج الاستدلال على مسائل العقيدة الإسلامية بمصر في العصر الحديث، د: أحمد قوشي عبد الرحيم، ص 80-82).

المطلب الثالث: أبرز علماء هذا الاتجاه

من أبرز علماء هذا الاتجاه:

1- الإمام أحمد بن حنبل البغدادي م 241ه.
2- الإمام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الدمشقي م 728ه.
3- الإمام محمد بن قيم الدمشقي م 751 ه، وهو تلميذ الإمام بن تيمية.
4- الشيخ محمد بن عبد الوهاب النجدي التميمي م1206ه، تأثر بكتب الإمامين ابن تيمية وتلميذه ابن القيم الجوزية، فتكونت شخصيته بذلك، ومن كلامه: (مذهبنا في أصول الدين مذهب أهل السنة والجماعة، وطريقتنا طريقة السلف، وهي أن نقر آيات الصفات وأحاديثها على ظاهرها، ونحن أيضا في الفروع على مذهب الإمام أحمد بن حنبل، ولا ننكر على من قلد الأئمة الأربعة). (من أعلام المجددين، د: صالح الفوزان، ص46،45).
5- الشيخ محمد ناصر الدين نوح الألباني م1420ه. وهذا الشيخ يعتبر حجة عند أصحاب الاتجاه السلفي المعاصر لما كان له من أثر كبير وفعال في الاهتمام بدراسة السنة النبوية، وكثرة التأليف فيها، والحرص الشديد على دراسة الأحاديث ومعرفة الصحيح منها من الضعيف والموضوع، وقد تأثر الشيخ الألباني بمن سبقه من أصحاب هذا الاتجاه كالإمام ابن تيمية وابن القيم الجوزية ومحمد عبد الوهاب، وقال عنه الشيخ زهير الشاويش: (كان الشيخ من أبرز الدعاة إلى السلفية في كل معانيها ببلاد الشام حتى أصبح المرجع الأول لكثير من المسلمين، وكل طلاب العلم والمتعبدين)، قال الشيخ عبد العزيز بن باز: (لا أعلم تحت هذا الفلك في هذا العصر أعلم من الشيخ ناصر في علم الحديث)، وقال: (إنه مجدد هذا العصر في علوم الحديث). (حياة الألباني وآثاره وثناء العلماء عليه، محمد بن إبراهيم الشيباني، ج1، ص45،44 ،ج2، ص541).

المطلب الرابع: المتأثرون بالاتجاه السلفي:

هناك طائفة من العلماء الذين تأثروا بهذا الاتجاه، وكان لهم أثر كبير في نشره وبيانه للناس، مع مخالفتهم لبعض الأسس التي قام عليها هذا الاتجاه ونذر منهم:

الشيخ محمد عبده، والشيخ محمد رشيد رضا، والشيخ أحمد شاكر، والشيخ جمال الدين القاسمي، والشيخ محمد بهجة البيطار، والسيد محمود شكري الألوسي، والشيخ محمد بن علي السنوسي، والشيخ عبد الحميد بن باديس، والشيخ محمد بن علي الشوكاني، وغيرهم كثير.

المبحث الثاني
الاتجاه العقلي

المطلب الأول: تعريفه

تعريفه لغة : هناك عدة معاني لغوية لمصطلح العقل ومنها: وهو الحبل الذي يعقد به البعير، وعقل الدواء البطن: أي أمسكه بعد استطلاق، اعتقل لسانه: أي حبس عن الكلام. والعقلة: ما يعقل به كالقيد، اعتقلت الشرطة المتهم: أي حبسته حتى يحاكم، المتعقل: المحبس، والمعقل: الحصن، والرجل العاقل: هو إلجامه لأمره ورأيه. (لسان العرب، ابن منظور، مادة عقل،ج2، ص55).

تعريفه اصطلاحا: لقد اختلف تعريف العقل عند العلماء المعاصرين، وأنهم فهموا هذا المصطلح حسب تصور ثقافتهم، ومن هذه التعريفات:

(العقل: هو قوة خفية تدرك بها الأشياء، وهي هبة من الله تعالي نستطع في ضوئها أن نميز بين الحق والباطل، بين الخبيث والطيب، بين النافع والضار، بين الحسن والقبيح، سواء حملت هذه القوة الخفية اسم العقل أو اسم القلب أواسم العلم)، (الفكر الإسلامي بين العقل والوحي وأثره في مستقبل الإسلام، د: عبد العال سالم مكرم، ص7)، أيضاً: (هو اتجاه فكري عام يمجد العقل الإنساني، ويغالي في تقديمه على الدين، وتحكيمه في عالمي الغيب والشهادة، ويعطي العقل وأحكامه اعتبارا فوق النصوص الشرعية الثابتة عن الله تعالى ورسوله ﷺ، ويجعل العقل وسيلة إثبات، وأساس الحكم على الأشياء، وطريق القبول لها). (الموقف المعاصر من المنهج السلفي في البلاد العربية، د: مفرح بن سليمان العوسي، ص 33-103).

ولكن العقل لا يوجد في الإنسان في أول أمره، كما أخبر المولى ﷻ عن ذلك بقوله تعالى: ﴿ والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا ﴾، (سورة النحل، الآية: 78). ولكن يكون عند الإنسان استعداد لأن فيه العقل، وهذا الاستعداد يكون عقلاً بالقوة أو غريزياً، ثم يحدث فيه العقل بعد ذلك شيئاً فشيئاً بخلق الله تعالى إلى أن يبلغ درجات الكمال، ويسمى هذا العقل مستفاداً.

المطلب الثاني: الأسس التي يقوم عليها في دراسة السنة.

لم يعرف لأصحاب هذا الاتجاه في دراسة السنة النبوية، والتمييز بين الصحيح والضعيف منها، مما أدى بهم إلى الآتي:

أولاً: تبني أكثرهم القول بظنية أخبار الآحاد، وعدم جواز الاعتماد عليها في إثبات مسائل العقيدة الإسلامية، أو الأحكام الفقهية، بل وصل الأمر بهم إلى الإجماع والاتفاق على هذا القول.

ثانياً: جرأتهم الغير مقبولة في تضعيف الأحاديث أو تأويلها، حتى لو كان هذا في البخاري ومسلم، واتفق المحدثون على صحتها، فصحة السند عندهم غير كافية بالحكم لثبوت الحديث؛ بل لابد من عرضها على آيات القرآن الكريم وموازين العقل البشري، لذا ردوا العديد من الأحاديث والتي من ضمنها:

1-الأحاديث المتصلة بالعقيدة، مثل: نزول عيسى عليه السلام، والمهدي، والدجال، وأحاديث الشفاعة، وعذاب القبر.
2-الأحاديث المتعلقة بالمعجزات، مثل: انشقاق القمر، والإسراء والمعراج.
3-الأحاديث المتعلقة بالأحكام العملية، كبعض الحدود المتعلقة بالردة والرجم والسرقة.
4-الأحاديث المتعلقة بالسيرة النبوية، مثل: حديث سر النبي ﷺ، وشق صدره ﷺ.

المطلب الثالث: أبرز علماء هذا الاتجاه

1- الشيخ جمال الدين الأفغاني م1315ه، وقد عده بعض العلماء المعاصرين مجدد القرن الثالث عشر هجري، وشكك بعضهم في دعوته؛ لاختلاف المؤرخين في شأنه.
2- الشيخ محمد عبده الغرابلي المصري م1323ه، وقد عده بعض العلماء المعاصرين مجدد القرن الرابع عشر الهجري، وشكك البعض الآخر في دعوته، وأنه كان مرتكز تيار التغريب في مصر وغيرها.
3- الشيخ محمد رشيد رضا الشامي ثم المصري م1324ه، وقد عده بعض علماء العصر مجدد القرن الرابع عشر الهجري، ووصفه بوصف السلفية، وخاصة أن كثير من طلابه من أصحاب الاتجاه السلفي أمثال الشيخ محمد خالد الفقي، والشيخ أحمد محمد شاكر وغيرهم، وإعجابه الشديد بابن تيمية، وابن القيم الجوزية، ولكن لديه بعض الأقوال التي تخالف ما عليه أصحاب الاتجاه السلفي والتي من ضمنها تأويل الكثير من الأحاديث أو ردها بحجة عدم موافقتها للعقل، ولو كانت في صحيح البخاري ومسلم، كأحاديث أشراط الساعة وانشقاق القمر وطلوع الشمس

من مغربها وغيرها، وهذا كله يؤيد القول بأنه من أصحاب الاتجاه العقلي، حتى وإن تأثر بأصحاب الاتجاه السلفي وبعض أفكارهم.

المطلب الرابع المتأثرون بالاتجاه العقلي

وسأكتفي بذكر بعض المتأثرين بالاتجاه العقلي في دولة مصر وهم كالآتي:

الأستاذ عبد الله نديم، والشيخ علي يوسف، والشيخ عبد الوهاب النجار، والشيخ أحمد مصطفى مراغي، ومحمد حسين هيكل، وعباس محمود العقاد، والشيخ محمد أبو زهرة، والشيخ حسن البنا، والشيخ محمد الغزالي، والدكتور طه حسين.

وهؤلاء العلماء وغيرهم لم يوافقوا ما ذهب إليه أصحاب الاتجاه العقلي في كل صغيرة وكبيرة، كما أنه لم يستلزم بحكم صحة ما ذهبوا إليه من الآراء، ولكنهم تأثروا بهذا الاتجاه العقلي بصفة عامة، وبكتب بعض أصحابه كالشيخ جمال الدين الأفغاني، والشيخ محمد عبده، والشيخ محمد رشيد رضا بصفة خاصة.

المبحث الثالث
الاتجاه المنحرف

المطلب الأول تعريفه

تعريفه لغة: الانحراف هو الميل عن الشيء أو تغيير الكلام وصرفه من معانيه كقوله تعالى في شأن اليهود الذين غيروا معاني التوراة: ﴿ من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه ﴾، (سورة النساء، الآية: 46). والأصل في الحروف الطرف والجانب، والحارفة: هي التشديد في المعاش، ويقال: لا تحارف أخاك في السوء: أي لا تجازه، والحرافة: طعم يحرق اللسان والفم. (لسان العرب، ابن منظور، مادة حرف، ج2، ص 838،839).

تعريفه اصطلاحا: من أهم التفسيرات العصرية لمفهوم الانحراف هو: انسلاخ شريحة من المجتمع عن المجرى الرئيسي لحياة المجتمع.

أقسام الانحراف

أولاً: الانحراف الفكري، وله وجهان:

1- الانحراف في الرأي: وهو وصول الفكر للشخص عند عدم وضوح الرؤية، إما عن طريق الدليل الأقوى حسب ظنه، وإما عن مؤثر آخر من المؤثرات الكثيرة التي تتداخل في عمل

العقل، ومن السهل الانتقال بالرأي إلى رأي آخر، كإنكار السنة النبوية كلياً أو جزئياً، أو القول بعدم صلاحية الشريعة الإسلامية للعصر الذي نعيش فيه كلياً أو جزئياً.

2- الانحراف في العقيدة: وهو الاقتناع بالرأي وتحريك الوجدان نحوه وانفعال النفس به انفعالاً يظهر أثره في القلب حباً أو كراهية، ومن الصعب العدول عنها، فهي تحتاج إلى حجة أقوى ومعالجة أشد، وقد تزداد عمقاً ورسخاً في النفس إذا مر عليها زمن طويل وصارت تقليداً موروثاً، ومثاله: كالاعتقاد أن القرآن أو السنة منتج ثقافي وليس وحياً، والتعامل بهما على هذا الأساس، أو ما يعبر عن الألسنة، أو الاعتقاد بوجوب فصل الإسلام عل الحياة كلها، وغيرها.

ثانياً: الانحراف السلوكي: وهو إما قول باللسان، وما يقوم مقامه من الإشارة أو الكتابة ونحوهما، وإما عمل بالجوارح بطريقة مباشرة أو غير مباشرة، وهذا الانحراف ينقسم إلى قسمين هما:

1- الانحراف في الترك: ومثاله: كتطبيق الشريعة في الحياة كلها أو بعضها.
2- الانحراف في الفعل: ومثاله: كتطبيق الشريعة الإسلامية بصورة مشوهة أو تطبيقها بتعصب وتزمت. (بيان الأزهر الشريف، الشيخ زاد الحق، ج1، ص 11-15).

أسباب الانحراف:

إذا نظرنا نظرة متأنية في نشأة وتطور هذه التيارات الفكرية المنحرفة فسنجد انحرافها يتمثل في الأسباب التالية:

1- السعي إلى هدم الإسلام والقضاء على مصادر التشريع الكتاب والسنة.
2- الجهل بالعلم الشرعي.
3- التعصب بالمذهب العقدي.

المطلب الثاني: أسس الاتجاه المنحرف بالنسبة للسنة النبوية

من خلال البحث عن أصحاب هذا الاتجاه نجد أنهم لم يتخصصوا في دراسة السنة النبوية، ولم يكن تعاملهم معها على الوجه المطلوب مما أدى هذا الأمر إلى الوقوع في أمرين هما:

1- تبني أغلبهم فكرة إنكار السنة النبوية كلياً أو جزئياً، وعدم الاعتماد عليها ويكتفون بالقرآن الكريم.
2- خوضهم في الكلام حول السنة النبوية بدون علم ولا معرفة، بل يكتفون بتقليد بعض أصحاب الاتجاه العقلي، أو المستشرقين، والزيادة عليها، وابتداع أفكار ناتجة عن الهوى،

ووقوعهم في العديد من الشبه والضلالات التي أصبحوا بها منحرفين عن الجادة والصواب.

المطلب الثالث: الشبهات والأباطيل الواردة في هذا الاتجاه حول السنة النبوية

هناك العديد من الشبهات التي وقع فيها الكثير من أصحاب هذا الاتجاه ومن أهمها ما يأتي:

1- شبة النهي عن كتابة السنة النبوية.
2- شبهة تأخير تدوين السنة.

أولاً: شبهة النهي عن كتابة السنة النبوية

اختلف موقف هؤلاء الناس من أحاديث النهي عن كتابة السنة النبوية إلى قسمين هما:

1- زعمهم عدم صحة أحاديث النهي عن كتاب السنة النبوية

قامت هذه الطائفة من هذا الاتجاه بالقول بعدم صحة الأحاديث الواردة في النهي عن كتابة السنة، وتخطئ من يقول بصحتها، وأن النهي كان نابعاً من موقف سياسي اتخذه الخليفة أبو بكر وعمر، ومن بعده الخلفاء رضوان الله عليهم أجمعن للحد من نشر فضائل أهل البيت، ومن أقوالهم قول زكريا بن عباس داوود: (لو تأملنا جيداً في الأحاديث الواردة في الحث على العلم والتعلم وطلبه، والارتحال من أجله، وخوض الصعاب للحصول عليه، لعرفنا أن الرسول الأعظم ﷺوهو يبحث عن أسباب الخير، ويوظفها في خدمة بناء أمة إسلامية تقوم على العلم والاهتمام به؛ لا يمكن أن ينهي أبداً عن كتابة أحاديثه، وإنما وضع على لسانه إنما وضعته السلطات التي جاءت بعده لأسباب سياسية، خاصة وأن قسماً كبيراً من أحاديث الرسول توضح من هي السلطات التي وضعها ونصبها الله سبحانه وتعالى بعده). (تأملات في الحديث عند السنة والشيعة، زكريا عباس داوود، ص37، 42، 44، 62).

2- قولهم بصحة أحاديث النهي وأن ذلك راجح إلى التشكيك فيها وعدم حجيتها.

ومن أقوالهم، قال الدكتور محمد شحرور: (نلاحظ أن النبي ﷺ، والصحابة ﷺ لم يعتبروا في وقت من الأوقات أن الأحاديث النبوية هي وحي، فهو عليه الصلاة والسلام من جهته لم يؤمر بجمعها كما فعل مع الوحي والكتاب)، (الكتاب والقرآن قراءة معاصرة، د: محمد شحرور، ص 546). وممن قال بهذا الكلام الدكتور محمد توفيق صدقي، ومحمود أبو رية، والدكتور أحمد صدقي منصور، وجمال البنا وغيرهم. (الأصلان العظيمان الكتاب والسنة، د: جمال البنا، ص268-272).

رد العلماء على هذه الشبه:

أولاً: الرد على من زعم على عدم صحة أحاديث النهي في كتابة السنة النبوية.

هناك أحاديث صحيحة لا شك في صحتها تناولت نهي الرسول ﷺ عن كتابة السنة ومنها:

1- عن أبي سعيد الخدري ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: (لا تكتبوا عني، ومن كتب عني غير القرآن فليمحه، وحدثوا عني ولا حرج، ومن كذب عليا متعمدا فليتبوأ مقعده من النار). (رواه مسلم، صحيح مسلم، باب معرفة الركعتين كان يصليهما النبي ﷺبعد العصر، حديث رقم: 54).
2- عن أبي بردة قال: كان أبو موسى يحدثنا بأحاديث فنقوم أنا ومولى لي فنكتبها، فحدثنا يوماً بأحاديث فقمنا لنكتبها فظن أنا نكتبها، فقال أتكتبان ما سمعتما مني؟ قالا نعم، قال: فجيآني به، فدعا بماء فغسله، وقال احفظوا عنا كما حفظناه). (تقييد الخطيب، د: أحمد الخطيب البغدادي، ص 39-40).

ثانياً: الرد على من قال بصحة أحاديث النهي وأن ذلك راجح إلى التشكيك فيها وعدم حجيتها، ويمكن الرد على هذه الطائفة بتشكيكهم في السنة من خلال إقرارهم لأحاديث النهي على النحو التالي:

1- إن هناك شبه إجماع على أن منع كتاب الحديث النبوي قد نسخ بالتصريح بجواز كتابتها، وتمت كتابة أحاديث النبي ﷺفي أخريات حياته. (صحائف الصحابة وتدوين السنة المشرفة، أحمد عبد الرحمان الصويان، ص 39-48).
2- إن المشككين أو المنكرين للسنة غضوا الطرف عن دوافع النبي ﷺ في كتابة الأحاديث والتي منها:

أ- المحافظة علي كتابة كتاب الله تعالى وصيانته من الخلط بينه وبين السنة دون التمييز بينهما.
ب- عدم التنافس مع القرآن الكريم.
ج- عدم انصراف الناس عن القرآن، لأن القرآن كان لا يزال في مرحلة الوحي ولم يجمع بعد، فكان ينبغي أن يعطى مزيدا من الاهتمام بالقرآن عن أحاديث الرسول ﷺ.
د- الخوف من اتكال الناس على الكتابة وترك الحفظ.
ه- الخوف من وصول الأحاديث إلى غير أهلها، فلا يعرف أحكامها، ويحمل ما فيها على ظاهره، وربما زاد فيها ونقص، فيكون ذلك منسوبا إلى كاتبها في الأصل. (السنة النبوية في كتابات أعداء الإسلام، د: عماد السيد الشربيني، ج1، ص 288-298).

ثانياً: شبهة تأخير تدوين السنة النبوية

وهذه الشبهة تعد كسابقاتها فهي من ادعاء أهل الباطل من المستشرقين، واتباع بعض المسلمين لهم فيها، ومن الشبهات التي وقعت فيها هذه الطائفة ما يأتي:

1. زعم المستشرقين في هذه الشبهة

يذكر أحد كبار المستشرقين، والذي يدعى جولد تسهير بأن الأحاديث لا تمثل إلا الاتجاهات والآراء الموجودة في القرنين الثاني والثالث الهجري، وقلما تلقي الضوء على بداية القرن الأول الذي ينسبها إليها أصحابها، وما لبث أن حضي هذا الرأي بقبول عام لدى المستشرقين من أهل الغرب، وظل أمرا ثابتا في أدهانهم، وأخذ به جوزيف شاخت ورأى أن تدوين السنة لم يتم إلا بعد سنة 104ه، وأما ريسون فقد اعتبر أن تدوين السنة بدأ في القرن الثاني (100-200ه)، وأما شيرنجر فقد اعتبر بداية تدوين السنة في مطلع القرن الثاني الهجري 100ه، وهو ما أخذ به دوزي. (علوم الحديث ومصطلحه، د: صبحي الصالح، ص 33-36).

2. زعم المنحرفين في هذه الشبهة

قال المستشار محمد سعيد العشماوي: (غير أن الأحاديث لم تجمع إلا في عصر التدوين، في العصر العباسي الأول وفي النصف الثاني من القرن الثاني الهجري 150ه). (حقيقة الحجاب وحرية الحديث، د: محمد سعيد العشماوي، ص 96-98).

رد العلماء على هذه الشبة

1. وقع المنحرفون في الخلط بين مفهوم الكتابة والتدوين، وفهموا خطـأ أن التدوين هو الكتابة، والصحيح أن التدوين مرحلة لاحقة للكتابة ومن بعد التصنيف، فالكتابة: هي مطلق خط الشيء، دون مراعاة لجمع الصحف المكتوبة في إطار يجمعها، والتدوين: مرحلة تالية للكتابة، وتكون بجمع الصحف المكتوبة في ديوان يحفظها، أما التصنيف: فهو أوسع بكثير من التدوين إذ أنه يتضمن تصنيف مجموعة مسجلة بالفعل في أجزاء مختلفة، أي إعادة ترتيب المادة المكتوبة بالفعل إلى أجزاء وفصول مختلفة. (دلائل التوثيق المبكر للسنة و الحديث، د: امتياز أحمد، ص 283،284).

وعلى هذا القول فإن قول الأئمة: أن السنة دونت في نهاية القرن الأول الهجري لا يفيد أنها لم تكتب طيلة هذا القرن، بل يفيد أنها كانت مكتوبة، لكنها لم تصل إلى درجة التدوين، وهو جمع الصحف في دفتر. (السنة النبوية في كتابات أعداء الإسلام، د.عماد السيد الشربيني، ج1، ص315).

2. الترجمة الخاطئة للمقولة القائلة أول من دون العلم أبو شهاب الزهري، وذلك بأنه أول من كتب العلم أي علم الحديث، كان ابن شهاب الزهري، وانطلاقاً من هذا التفسير الخاطئ انبثقت نظرية أن كتابة الحديث بدأت متأخرة للغاية حتى عصر الزهري في نهاية القرن الأول الهجري، أو بداية القرن الثاني. (دلائل التوثيق المبكر للسنة والحديث، د: امتياز أحمد، ص251).

لكن المتتبع لكلام الأئمة السابقين يتبين لهم معرفتهم التامة وتفريقهم بين الكتابة والتدوين وهم يؤرخون لتدوين السنة، حيث كان مدار حديثهم عن التدوين، وليس في حديثهم شيء يتعلق بالكتابة، كقول الحافظ ابن حجر: وأول من دون الحديث ابن شهاب الزهري على رأس المائة بأمر عمر بن عبد العزيز، ثم كثر التدوين، ثم التصنيف، وحصل بذلك خير كثير فلله الحمد. (فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، ج،1 ص251).

3. نماذج من أشهر ما كتب من الأحاديث النبوية في حياة النبي ﷺوبعده إلى زمن التدوين الرسمي:

1- عن أبي هريرة ﷺ أنه لما فتح تعالى على رسوله ﷺ مكة، قام عليه الصلاة والسلام وخطب في الناس، فجاء رجل من أهل اليمن فقال: اكتب لي يا رسول الله، فقال: (اكتبوا لأبي فلان). (رواه البخاري، صحيح البخاري، كتاب العلم، حديث رقم: 688، ج1، ص8).
2- ما رواه أنس بن مالك ﷺ أن أبا بكر ﷺ كتب له الذي فرض رسول الله ﷺ (ولا يجمع بين متفرق ولا يفرق بين مجتمع خشية الصدقة). (رواه البخاري، صحيح البخاري، كتاب الزكاة، حديث رقم: 1450، ج1، ص240).
3- الصحيفة الصحيحة التي كتبها همام بن منبه ﷺ زوج ابنة أبي هريرة ﷺ كتبها أمام أبي هريرة ﷺ، فكان جديرة باسم الصحيفة الصحيحة. (صحائف الصحابة وتدوين السنة النبوية المشرفة، أحمد عبد الرحمن الصويان، ص189-200). فهذه الكتابات السابقة وغيرها كثير تقطع بكتابة السنة النبوية المطهرة في عصر النبوة والصحابة والتابعين.

الخاتمة

نحمد الله تعالى أن وفقنا لكتابة هذا البحث، ويسر لنا ذلك كله فله الفضل أولاً وأخيراً، وفي نهاية هذا البحث فإننا سنذكر بعض النتائج المستفادة منه، وهي على النحو التالي:

1- اهتمام العلماء قديما وحديثا بالسنة النبوية والعناية بها والعكوف على دراستها، وفهمها على مراد الله ومراد رسول الله ﷺ.

2- بروز الاتجاه السلفي في دراسة الحديث النبوي، وتتبع السنة النبوية وأن هذا الاتجاه منتشر بقوة، وأن له أعلام تنشر فكره ومنهجه في كل مكان من العالم.
3- دعوة أصحاب الاتجاه السلفي إلى التمسك بالكتاب والسنة وفهمها وفق فهم السلف الصالح، من غير تبديل ولا تأويل.
4- إن الاتجاه العقلي بدأ ينتشر منذ بداية القرن الرابع عشر هجري في محاولة منها للتأمل والتجديد والدفاع عن الإسلام ضد التيارات الفكرية الهدامة والتي لا تعترف إلا بالعقل الذي تعده مصدراً أساسياً في قبول الحكام ورفضها.
5- اعتماد أصحاب الاتجاه المنحرف على بعض الأقوال المنتسبة لبعض المتأثرين بالاتجاه العقلي من المستشرقين وغيرهم وتبني أفكارهم وعقائدهم، بل أضافوا إلى ذلك بعض الشبهات الباطلة حول السنة النبوية.
6- إن الاتجاه المنحرف اتجاه دخيل ومستور، ويتنافى مع أصول الإسلام وأنه ينظر إلى الإسلام بنظرة غريبة.
7- تصدي علماء الحديث من الاتجاه السلفي لبعض أفكار الاتجاه العقلي والمنحرف، والسعي لإبطال الحجج والشبه التي وقع فيها أصحاب الاتجاه المنحرف.

التوصيات

تضمن البحث عدة توصيات منها:

1- أوصي بالفهم الصحيح للكتاب والسنة والاعتصام بهما.
2- الرد على كل من يتجرأ في الطعن بحجية السنة بالأدلة الضعيفة.
3- الدفاع عن ثاني مصدر من مصادر التشريع واجب حتمي على كل مسلم.

المصادر والمراجع

1- الاتجاه السلفي الحديث بين التأصيل والمواجهة، د: راجح الكردي.
2- الاتجاهات المعاصرة في كتابة السيرة النبوية، د: عبد الرزاق إسماعيل هرماس.
3- الأصلان العظيمان الكتاب والسنة، د: جمال البنا، مطبعة حسان القاهرة.
4- السنة النبوية في كتابة أعداء الإسلام مناقشتها والرد عليها، د: عماد السيد الشربيني، ط1423،2002، دار اليقين المنصورة.
5- الفكر الإسلامي بين العقل والوحي وأثره في مستقبل الإسلام، د: عبد العال سالم مكرم، ط،2، 1992، مؤسسة الرسالة بيروت.
6- الكتاب والقرآن قراءة معاصرة، د: محمد شحرور، ط،1992، دار الأهالي دمشق.
7- بيان من الأزهر الشريف، الشيخ جاد الحق علي جاد الحق، 1984، مطبعة الازهر القاهرة.
8- تأملات في الحديث، عند السنة والشيعة، زكريا عباس داوود، ط،1995،1، دار النخيل بيروت.
9- تقييد العلم، د: أحمد بن علي الخطيب البغدادي، تحقيق يوسف العش، ط2، 1974، دار إحياء السنة النبوية.
10- تيارات الفكر الإسلامي، د: محمد عمارة، ط2، 1997،دار الشروق القاهرة.
11- حقيقة الحجاب وحجية الحديث، د: محمد سعيد العشماوي،2001، مؤسسة زور اليوسف القاهرة.
12- حياة الألباني وآثاره وثناء العلماء عليه، محمد بن إبراهيم الشيباني، ط1، 1987،الدار السلفية الكويت.
13- دلائل التوثيق المبكر للسنة والحديث، د: امتياز أحمد، ترجمة عبد المعطي أمين قلعجمي، ط،1999، دار الكتب العلمية بيروت.
14- صحائف الصحابة وتدوين السنة المشرفة، د: أحمد عبد الرحمن الصويان، ط1، 1990.
15- صحيح البخاري، تحقيق محب الدين الخطيب، محمد فؤاد عبد الباقي، ط، الأولى، 1980، المكتبة السلفية بالقاهرة.
16- صحيح الإمام مسلم، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية بالقاهرة.
17- علوم الحديث ومصطلحه، د: صبحي الصالح، ط19، 1995، دار العلم الملايين بيروت.
18- فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني تحقيق محب الدين الخطيب، محمد عبد الباقي، قصي محب الدين الخطيب، ط2، 1983، المطبعة السلفية القاهرة.
19- لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور المصري، دار صادر بيروت.
20- من أعلام المجددين، د: صالح الفوزان، ط1، 2003، دار ابن الجوزي الرياض.
21- مناهج الاستدلالات على مسائل العقيدة الإسلامية بمصر في العصر الحديث، د: أحمد قوشي عبد الرحيم 2002، رسالة الدكتوراه، كلية العلوم، جامعة القاهرة.
22- الموقف المعاصر من المنهج السلفي في البلاد العربية، دراسة نقدية، د: مفرح بن سليمان العوسي، ط،1، 2002، دار الفضيلة بالرياض.